دلالات الالـوان غير الصريحــة في القرآن الكريم

م.م. نعم هاشم الجماس
جامعة الموصل / كلية التربية

تاريخ تسليم البحث : 2004/6/30 ؛ تاريخ قبول النشر : 2004/7/27

ملخص البحث :

يعد اللون موضوعا شائكاً وهو جزء مهم من خبرتنا الإدراكية الطبيعية للعالم المرئي، واللون لا يؤثر في قدرتنا على التمييز بين الأشياء فحسب بل يغير من مزاجنا وأحاسيسنا ويؤثر في مفاضلاتنا وخبراتنا الجمالية بشكل يكاد يفوق تأثير أي بعد آخر يعتمد على حاسة البصر أو أية حاسة أخرى، إذا كان مفهوم اللون قد ترسخ في العقل البشري وفق هذا المنظور، فللون القرآني تأثير في إدراكاتنا وتشخيصاتنا لكثير من الظواهر المحسوسة والمادية.

وبناء على المذكور كله فالبحث مشرِعُ في تتبع المدلولات اللونية غير الصريحة في القرآن الكريم آخذاً بنظر الإعتبار أسماء الألوان وخصائصها وأدوارها في عملية إدراك الحدث اللوني القرآني كما يجلي ذلك كتاب الله العزيز.

The Indirect Implications of Colours in Holy Quran

Niam Hashim AL – Jamass
University of Mosul - College of Education

Abstract:

Color is a considered a delicate subject. It is an important section of our natural conscious experience of the visible world. Color does not have an influence upon distinction of things only but it changes our temper and emotions. It has a great influence upon favorites and aesthetic experience, which barely exceeds other things that depend on sense of vision or any other sense. If the notion of color is inculcated according to this meaning, color in Qura'n influenced our consciousness and personification for many sensed and physical phenomena.

According to what mentioned above, this research is starting with observation the colored significance that is not explicit in the Holy Qura'n, considering the properties and names of colors and understanding them in the process of understanding color occurrence in Qura'n.

لون الحوة :

قال تعالى : ﴿**سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى ، الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى ، وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى ، وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى ، فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى**﴾ سورة الاعلى، الآيات : (1-5)

يفتتح النص القرآني المبارك : "بهذا المطلع الرخي المديد ليطلق في الجو أصداء التسبيح إلى جانب معنى التسبيح فالصفات التي تلي الأمر بالتسبيح تحيل الوجود كله معبداً تتجاوب جنباته بتلك الأصداء وتعرض فيه آثار الصانع المبدع الذي خلق كل شيء فسواه وأكمل صنعته والذي قدرّ لكل مخلوق وظيفته وطريقه وغايته فهداه إلى ما خلقه لأجله وألهمه غاية وجوده وقدرّ له ما يصلحه مدة بقائه"[1].

ويظهر اللون القرآني دلالاته الجليلة في القول المبارك إذ أن الإثارة اللونية التي تعكسها لفظة (أحوى) تثري النص القرآني بالمدلولات المعاشية والاقتصادية وتعمقها، وهذا ما يستفاد من تفسير قوله المبارك : ﴿**وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى ، فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى**﴾ ولنتتبع كل لفظ قرآني وما تفرزه دلالاته النحوية والصوتية والمعجمية من تأثير نفعي يؤمن للإنسان معاشه ومأكله .

إذ أن في تكرار الاسم الموصول ﴿**الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى ، وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى ، وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى**﴾ جاء مقصوداً "للإهتمام بكل صلة من هذه الصلات واثباتها لمدلول الموصول وهذا من مقتضيات الاطناب"[2] المسوق لأثبات الدال والمدلول وبالتالي إثبات حقيقة كبرى هي أن الصلات تفصح عن نعم الله المتعددة.

وفي قوله تعالى : ﴿**وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى**﴾ تبدأ تأثيرات النص القرآني الإقتصادية لأن المراد (بإخراج المرعى) "إنبات النبات بعد خروجه من الأرض"[3] ولأن كل كلم قرآني مقصود ودقيق بمنعكساته الدلالية فلعل إطلاق (المرعى) على النبات مستوحى من الرعاية الآلهية والعناية الربانية بالنبات وثمره الذي ينتفع به الإنسان أو الكلأ والنبت الذي تنتفع به الأنعام ويعود نتاج النفع على الإنسان . إن ما سبق ذكره وجهة نظر مختلفة عن الرأي التفسيري الذي ذكره أبن عاشور اذ يقول : "ان قوله تعالى ﴿**وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى**﴾ تذكير بخلق جنس النبات من شجر وغيره واقتصر على بعض أنواعه وهو الكلأ لأنه معاش السوائم التي ينتفع الناس بها"[4].

ولا نجد في اللفظ القرآني (المرعى) اقتصاراً بدليل أن النبات مما يشمل السوائم والأُناس ولما فيه من الرعاية الشمولية بالإنسان والحيوان على السواء وبما يضمن معاشه وقوته فيكون النبت وأوراقه وبعض أنواع الحشائش التي تنمو حوله غذاء الحيوان وأما ما يثمر به النبت من ثمار جنية فهو قوت الإنسان وغذاءه، ولذلك فأن هذا الإطلاق الدلالي النفعي المعاشي للفظة القرآنية يؤازره الإطلاق الصوتي الذي تنتجه صوتيات الفاصلة القرآنية وتتناسق المدلولات الاقتصادية مع بعضها البعض، مفصحاً عن ذلك قوله تعالى : ﴿**فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى**﴾.

و(الفاء) تشير إلى التسارع النظامي في تقدير النعم وتعاقبها، ويتآزر هذا المعنى مع فعل التحول والتغير المشير إلى نمو الثمر ونضجه مروراً "بالتدرجات اللونية"[5] التي تحوله من كونه نبتاً مخضراً غير ناضج ثم يكون آيلاً إلى النضج وعندئذ يحين موعد حصاده والانتفاع الغذائي منه.

والغثاء في أصله اللغوي يدل على "فساد في الشيء"[6]، وقد استعير هنا لأداء معنى "اليابس من النبت"[7] وهكذا تتواشج الفوائد المعاشية التي تنتجها ظلال الألفاظ القرآنية فبعض النبت لا يؤكل إلا بعد نضجه بطريقة (الغثاء) ، فالحنطة لا يستفاد من معاشها ومأكلها إلا بعد يبسها وتغير لونها من الاخضرار إلى الاصفرار وكذلك الباقلاء والعدس وغيرها من البقول والخضار.

ولعل ظلال اللون القرآني مما يعضد المعنى الاقتصادي (فالأحوى) مشتق من الحوة "وهي السمرة والمراد بالاحوى النبات إذا يبس أسود أو أسمر"[8] أو "أصفر"[9] وبذلك استخدم اللون القرآني فضلاً عن ظلاله الجمالية لأداء النفع المعاشي والغذائي للأنسان.

إن مجيء لفظ اللون بصيغة أسم التفضيل يومئ الى تفضيل الخلق والبشر وشمولهم بالنعمة النباتية فضلاً عما يسمع من أصداء لأصوات الحروف القرآنية (أحوى) من إطلاق وتأمين لأقوات الخلق البشري والحيواني .

اللون الوردي والدهني :

قال تعالى : ﴿**فَإِذَا انشَقَّتْ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ**﴾ سورة الرحمن، الآية (37). تمثل الآية الكريمة تصويراً قرآنياً عظيماً مفصحاً عن الصور المرئية التي تُرى إبان البعث بعد الموت وأنها حين الوقوع تؤول إلى إختلال النظام الكوني ويكون ذلك إيذانا بالنشور والنشأة الأخرى.

وبما أن المشهد الكوني مشهد هائل يجلي فعل الخالق العظيم البرهان فأن الأدوات النحوية المتمثلة بـ (الفاء) و(إذا) قد ولدت عناصر التفاجؤ بالتغير والتحول من صورة إلى أخرى ، ثم يأتي فعل (الانشقاق) فيتناسق مع المعاني القرآنية ليرسم صور "التصدع والانهيار والتشقق"[10] بعد الإستواء الذي خلقت به السماء، وعندئذ يجلي التشبيه البليغ جلل الأمر الإلهي، فالوردة واحدة الورد ، وهو زهر أحمر من شجرة دقيقة ذات أغصان شائكة تظهر في فصل الربيع ، ووجه الشبه شدة الحمرة إذ يتغير لون السماء المعروف بالزرقة المائلة إلى البياض فيصير لونها أحمر[11].

وبذلك أستعير لفظ (الورد) لأداء المدلولات المعنوية للون القرآني (الأحمر) الذي كنى بدوره عن المشهد الخطير الذي ينذر بالتوقف وبالانتهاء وبالتحول من العالم الدنيوي إلى العالم

الآخروي ، وإنه يرسم "المشهد الوصفي"[12] البارع آيلاً إلى تحريك الشعور الإنساني بمشاعر الهيبة والخوف، وبذلك فأن اللون القرآني قد رسم مشهد إختلال بناء السماء ورسم منظر البعث والنشور، المنظر الهائل المروع المنذر بالنهاية الدنيوية بفعل القدرة الإلهية الخارقة.

وينتهي القول المبارك بالتشبيه القرآني الذي أدى إلى اتساق المدلولات القرآنية وتعاضدها لأداء المقصود، إذ أن تشبيه السماء بالدهان الذي يعني "دردي الزيت"[13] تشبيه يصور "التموج والاضطراب وأنها ذائبة سائلة"[14] آيلا إلى التغير التام، ولعل البيان القرآني الذي فسّر به الدكتور شوقي ضيف لفظ (الدهان) مما يعزز دقة اختيار الكلم القرآني في تعضيد مدلول اللون الوردي الهادف إلى تصوير المشهد السمائي اذ يقول "قيل الدهان الجلد الأحمر الخالص"[15] وقد يكون اللون الدهني مذكراً بإحمرار جهنم[16] للذين يمتنعون عن الشكران ويندفعون إلى الكفران والجحود والتكذيب بقدرة الله تعالى من الأنس والجان.

لون الدهمة :

قال تعالى : ﴿**وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ، فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ، مُدْهَامَّتَانِ ، فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ**﴾ سورة الرحمن، الآيات : (62-65)

"ما أكثر وصف القرآن للنبات المشعر بجمال المنظر وبكثرة العطاء والكرم فجماله متشعب في حسن المنظر وكرم العطاء"[17]، والحديث في الآيات الكريمة عن جنتين هما "جنة الفردوس وجنة المأوى"[18].

ان أبرز ما في الآيات الكريمات أزدهاؤُها بلون الدهمة والوصف اللوني يجعل الجنتين "سوداين في رأي العين ، وذلك للري والخضرة"[19].

وأما جمالية اللون الدهمي فأنها تكمن في دواله إلى الأشجار الكثيفة البهية المنظر والخضرة التامة للزروع والرياض ، وهكذا أدى اللون الجمالي القرآني رسم صورة الجنتين وقد امتلأت بالاشجار الكثيرة الملتفة حتى تحوُل لون الخضرة إلى السواد[20].

ويتصف اللون القرآني "بكثرة السطوع وشدة الضوء"[21] وأنه الاغزر عطاءً وإيحاءً بظلاله الورافة من الكرم الإلهي فالأشجار الكثيفة المخضرة المائلة لشدة اخضرارها إلى اللون الدهمي الأسود تنضج الثمار والفاكهة الشهية المذاق البهية المنظر ولعلها مما يؤدي إلى الاندماج والتأثير اللوني المتبادل والذي مؤداه كثرة النعم وغزارة النعيم والسخاء والكرم فالشجر المتكاثف الجاعل الجنتين مدهامتين قد آل إلى كثرة الثمار والفاكهة والزروع المخضرة النضرة.

ومما يزيد المنظر جمالا تآزر الألفاظ الجمالية بعضها ببعض فالجنتان ذواتا عينين نضاختين، وهذه إشارة صريحة إلى أن الماء من مقومات حياة النبت والشجر ولذلك أعقب ذكر العينين بذكر الفاكهة والنخل والرمان .

ومن أجل أن تتكامل الآيات جماليا ويبلغ الأعجاز ذروته في التناسب الكلي اللفظي والمعنوي والإيقاعي والتصويري فقد تعاقب التكرار التركيبي ليس في الآيات موضع التحليل فحسب وانما هو شائع في سورة الرحمن بأكملها والممثل بقوله ﴿**فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ**﴾ ليكون موجهاً إلى الأنس والجان "وليقوم بدوره الأدبي في التأكيد والالزام وليترك الصدى النفسي المجلجل الداعي القلوب إلى العظة والاعتبار"[22].

فهذا الإطناب البديع الباهر في وصف الجنتين الأوليين والأخريين في سورة الرحمن وما فيها من صور وألوان النعم الخضرة النضرة البهية مكافأة الخالق ذي الجلال والإكرام لمن خاف مقام ربه!!

لـون الحــور :

قال تعالى : ﴿**فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ ، فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ، حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ، فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ، لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلا جَانٌّ**﴾ سورة الرحمن، الآيات (70-74)

يعد النص المبارك استشعاراً لآلاء الله عز وجل وإفصاحاً عن النعم الأخروية، ويعدّ استمراراً في تفصيل وتصوير واسع المدى لما ينتظر المؤمنين المتقين من نعيم في فراديس الجنان.

وما دام الحديث بجلّه وبهدفه وبمقصده يتركز حول اللون القرآني ويجلي تأثيره المعنوي والمادي في المتلقي، فقد ورد لون (الحور) في الآيات المباركات المذكورة، وورد في سورة الدخان[23] في قوله تعالى : ﴿ **إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ، فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ، يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ ، كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ** ﴾، وورد في سورة الطور[24] في قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ ، فَاكِهِينَ بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ، كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ، مُتَّكِئِينَ عَلَى سُرُرٍ مَصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ**﴾.

"والحَوَر جمع حوراء وهي التي تمتاز في بصرها بالحور وهو نقاء بياض العين في شدة سواد الحدقة"[25] وإذا ما كان ذلك كذلك، فأن المقصد الجمالي المادي للون هو ما يستشف من الحور العين "الواسعات العيون"[26] من النساء الحسان في سورتي الدخان والطور.

إلا أنه وبالتأمل في نظم النصين القرآنيين نجد اقتران الحور العين بالمتقين المؤمنين وللاقتران مدلولاته وتأثيراته وانعكاساته في توليد تداعيات اللون إذ كما أتصفت النساء الحور العين بالنقاء الجمالي المادي فأن نسق النصين المباركين يستدعيان أن يكون النقاء جمالياً معنوياً ويكون اللون الحوري كناية عن الطهر والعفاف والرصانة والخُلق الكريم، وتنجلي المعاني

الجليلة بقول القرطبي "وقد قيل ان الحور العين المذكورات في القرآن هن المؤمنات من أزواج النبيين والمؤمنين يخلقن في الآخرة على أحسن صورة"[27]

وأما ورود اللون في سورتي الرحمن والواقعة فيمكن استكشاف تداعياته في النقاء المحسوس وغير المحسوس المفصح عن الطهر والبكارة والعفة، فالمقصود الرئيس للون القرآني هو الجمال المعنوي الأخلاقي الداعي إلى الرصانة والتكرمة ، أما المقصود الثانوي فهو الجمال المادي المعروف.

ونرى المدلولات اللونية المعنوية عند قراءة النصين بتمعن، يقول الله تعالى في سورة الرحمن : ﴿ **فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ ، فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ، حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ، فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ، لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلا جَانٌّ**﴾ وفي سورة الواقعة في شأن نساء السابقين المقربين من المؤمنين : ﴿**وَحُورٌ عِينٌ ، كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ**﴾[28].

وبذلك يمكن استنتاج تداعيات اللون الحوري الذي يرمز للون الأبيض[29] مع اقترانه بالقرينة القرآنية ففي سورة الرحمن تآزرت كل الألفاظ القرآنية لتأكيد وتثبيت مدلولات اللون الحوري بدءاً من لفظ الخيرات الذي يعني : "أنهن فاضلات النفس كرائم الأخلاق"[30] وهذا هو الجمال المعنوي وأما المحسوس المادي فأنهنّ "حسان الخَلْق"[31] والذي يعضد المدلولات القرآنية وكناية اللون الحوري عن الطهر والعفاف اقترانه بقوله تعالى : ﴿**قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ**﴾ في سورة الرحمن و﴿**كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ**﴾ في سورة الواقعة الذي يلمح بدوره بمدلول اللون القرآني غير الصريح وهو البياض وأن كلتي القرينتين القرآنيتين تفصحان وباتساقهما مع اللون عن الصيانة والطهر والخُلق الكريم ومما يعزز المعنى في سورة الرحمن قوله تعالى: ﴿**لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلا جَانٌّ**﴾.

وأما تسمية الحواريين في سورة آل عمران في قوله تعالى : ﴿**فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ**﴾[33] فأنها مشتقة من "الحور وهو البياض"[33] ولما كان اللون الأبيض دال على "النقاء والصفاء، والعمل الصالح في الدنيا والآخرة"[34] فأن اقتران اللون القرآني بأنصار النبي عيسى عليه السلام الشاهدين له بالتوحيد والمصدقين به لانه النبي الصادق، فيه تداعيات وكنيات عن نقاء وصفاء سريرة الحواريين وتأدية وتثبيتاً لكل معاني الأيمان بالله تعالى، فهم "أنصار الله مؤمنين به شاهدين لنبيه بالصدق موحدين بالله تعالى"[35].

لــون اليحمـوم:

قال تعالى : ﴿**وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ، فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ، وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ ، لا بَارِدٍ وَلا كَرِيمٍ**﴾ سورة الواقعة، الآيات (41–44). إن من المتعارف عليه في كتاب الله

العزيز أن عذاب الكفرة يكون في نار جهنم إلا أن عذابهم في النص المبارك مختلف لأنه أشد وأكثر ألما فالقرآن الكريم "قد ذكر في الآية المباركة أموراً ثلاثة يتصور العقل أن فيها الراحة فإذا بها العذاب ، ذكر الهواء والماء والظل"[36].

افتتحت الآية الكريمة بتكرار الجملة القرآنية العائدة على "أصحاب المشاقّة"[37]، ولعل الأولى أتت في سياق تنبيه المتلقي وأما الثانية التي تداخلها أسلوب الاستفهام الذي أدى غرضه في "تفخيم وتعظيم"[38] المصير المروع الذي ينتظرهم قد أدت غرضها في تهويل المال الخاسر.

ثم يأتي حرف الجر (في) ليؤدي وظيفته الدلالية المنسجمة والمعاني القرآنية المقصودة فالكفرة منغمسون الانغماس التام في أصناف البلاء المتتالية ، وأول أصناف العذاب السموم وهي "الريح الشديد الحرارة الذي إذا أُدخل مسام الجلد هلط صاحبه"[39] وأما الصنف الثاني الحميم وهو "الماء الشديد الحرارة"[40] وهنا يتماثل المدلول القرآني مع قوله تعالى: ﴿**وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ**﴾[41].

وينفرد مدلول اللون القرآني بالصنف الثالث للعذاب المميت فاليحموم "الدخان الأسود"[42] وأما ظله فأنه ظل دخان لهب جهنم[43]، ومن المعروف أن فائدة الظل في الحياة الدنيا تكون في أمرين الأول: "دفع الحر، والثاني حسن المنظر فيكون الإنسان فيه مكرما"[44] إلا أن الظل الذي يستظل به الضالون هو الدخان الأسود الحار، وهنا تتداعى ظلال اللون القرآني المعنوية والمحسوسة، فالدخان الأسود يسوّد الوجوه الكافرة فتبدو في لون أسود كريه المنظر، وقد يكون اسوداد الوجوه كناية عن الهوان والذل والعاقبة السيئة للمنحرفين عن عقيدة الله تعالى، وبذلك يستق مدلول اللون الأسود في النظم القرآني المبارك لتأدية معنى التهكم بالكافرين، فضلا عما يؤديه الدخان الأسود الخانق من العذاب والأذى المادي المحسوس.

ويستفاد من تتابع النفي في تعضيد دلالة اللون القرآني بظله ودخانه الأسود، إذ أن نفي الأوصاف الحسنة في الظل يشعر بتكامل وإتمام العذاب لأن برد الظل "دفع حرارة الشمس وكرم الظل سلامته من هبوب السموم عليه"[45].

لون (البسر والغبر والقتر) :

يتركز جل اهتمام الكتاب العزيز بتقرير حقائق اليوم المحيط ويصور احداثه واهواله وما فيه من نعيم وعذاب وثواب وعقاب وجزاء وحساب ويتضح مدلول اللون القرآني في إحدى الثنائيتين اللتين تجمع الخلائق البشرية في كفتي ميزان العدل والإنصاف فيجازي الضال على إنحرافه العقدي وعلى كفره ويثاب المؤمن على إلتزامه العقدي وعلى إيمانه وهذا ما يستشف من قوله تعالى ﴿**وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ، إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ، وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ، تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ**﴾[46] وقوله تعالى ﴿**وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ ، ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ ، وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ، تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ، أُوْلَئِكَ هُمْ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ**﴾[47] فالتقابل الاخروي بين فريق الجنة وفريق النار يوازن بين وجوه السعداء ووجوه الاشقياء وهي مقابلة بلاغية تفصح عن نضارة وجوه المؤمنين وكلاحة وجوه المجرمين ومن خلال التمعن في القولين الكريمين نستنتج اختلاف الدوال اللونية واتحاد مدلولاتها في انها تمثل صنفاً من اصناف العذاب المحيق بالضالين، فالوجوه الباسرة "العابسة الكالحة الكئيبة المتغيرة المسودة"[48] والوجوه التي عليها غبرة ترهقها قترة وجوه يعلوها الغبار والكدورة "والغبار سمي لغبرته وهي لونها والأغبر كل لون لون غبار"[49] ويتواشج لون الغبرة في الوجوه المغبرّة الكافرة مع لون القترة الذي يغشى الوجوه المشركة والمومئ إلى العذاب الآخروي لان القترة "السواد والظلمة التي كالدخان"[50] وهكذا تتداعى المدلولات اللونية القرآنية المشيرة الى الهوان والذلة والخزي لان دلالات لون الغبرة والسواد التي ألمح إليها القرآن الكريم بالدوال **(البَاسِرَةٌ، والغَبَرَةٌ ، والقَتَرَةٌ)** هي دلالات العذاب "والحزن والانقباض والكلوح واليأس"[51] الآيل إلى المآل الخاسر جزاء العصيان والإفتراء على الله تعالى.

على حين أستخدم اللون القرآن **(القَتَر)** في سياق المدح والثناء على المؤمنين وذلك بنفي اتصاف وجوههم بالسواد كناية عن رفعة شأنهم وعلو منزلتهم لأنهم أصحاب الجنة ويتضح ذلك في قوله تعالى ﴿**لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ وَلا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلا ذِلَّةٌ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**﴾[52] والجدير بالذكر إن الإطلاق الصوتي المستقى من ألفاظ ألوان العذاب والمتآزر مع مدلولات صوتيات الحرفين القرآنيين (الباء والقاف) وصوت حرف (الراء) المكرر يؤول إلى أن العذاب واقع بالمشركين المنحرفين لا محالة وأنه عذاب محتدم وشديد ودائم ومستمر لا توقف فيه.

الهـوامـش :

1.في ظلال القرآن 541/30.
2.التحرير والتنوير 276/30 .
3.روح المعاني 9/ 349 ، وينظر : صفوة التفاسير 3 / 550 .
4.التحرير والتنوير 30/ 277 .
5.نظرية اللون 91 .
6.مقاييس اللغة مادة (غث) 379/4 .
7.البحر المحيط 457/8 ، تفسير غريب القرآن 524 .
8.القاموس المحيط 4 / 323 .
9.الجامع لأحكام القرآن 20 / 17 .
10. سورة الرحمن وسور قصار 92 .
11. ينظر : مقاييس اللغة مادة (ورد) 6/ 105.
12. التعبير عن اللون في الشعر العربي القديم، 22.
13. زاد المسير 8/ 118 .
14. سورة الرحمن وسور قصار 93 .
15. م. ن 93 .
16. دلالات اللون في الفن العربي الإسلامي 63 .
17. الظاهرة الجمالية في القرآن الكريم 346 .
18. سورة الرحمن وسور قصار 134 .
19. مقاييس اللغة مادة (دهم) 308/2.
20. ينظر : التحرير والتنوير 27 / 272.
21. سايكولوجية إدراك اللون والشكل 109.
22. البيان القرآني 114 .
23. الآيات 51-54
24. الآيات 17-20 .
25. مقاييس اللغة مادة (حور) 115/2
26. سورة الرحمن وسور قصار 150 .
27. الجامع لأحكام القرآن 17 / 202 .
28. سورة الواقعة 22-23
29. ينظر : تفسير المنار 3/ 314 .
30. التحرير والتنوير 27 / 273.
31. م.ن 27 / 273.
32. الآية 52
33. تفسير المنار 3/ 314 .
34. دلالات اللون في الفن العربي الإسلامي 60 .
35. تفسير المنار 3 / 314 .
36. سورة الواقعة ومنهجها في العقائد 61 .
37. التحرير والتنوير 27 / 304 .
38. صفوة التفاسير 3/
39. تفسير الخازن 4 / 21 .
40. م.ن 4 /21 .
41. سورة الكهف الآية 29 .
42. التحرير والتنوير 27 / 304 .
43. ينظر : مقاييس اللغة مادة (ظل) 3 / 461 .
44. تفسير الخازن 4 / 21 .
45. التحرير والتنوير 27 / 304 .
46. سورة القيامة الآيات 22-25.
47. سورة عبس الآيات 38-42.
48. التفسير المنير 265/29.
49. مقاييس اللغة مادة (غبر) 409/4.
50. تفسير القرآن 638.
51. الصورة اللونية في شعر السياب 113.
52. سورة يونس الآية 26، وينظر : تفسير القرآن 225.

ثبت المصادر والمراجع :

1. البيان القرآني ، د. محمد رجب البيومي ، دار النصر للطباعة ، القاهرة 1971م.
2. تفسير التحرير والتنوير ، الطاهر بن عاشور ، الدار التونسية للنشر والدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان (د.ت) .
3. تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل وبهامشه تفسير القرآن الجليل المسمى بمدارك التنزيل وحقائق التأويل، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، بيروت (د.ت).
4. تفسير غريب القرآن ، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة ، تحقيق : السيد أحمد صقر، بيروت 1978م.
5. تفسير القرآن للشيخ الامام سلطان العلماء عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام السلمي الدمشقي الشافعي، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، بيروت–لبنان، 1422هـ–2002م.
6. التفسير الكبير المسمى بالبحر المحيط ، محمد بن يوسف بن حيان الأندلسي ، الرياض (د.ت).
7. تفسير المنار ، محمد رشيد رضا ، بيروت (د.ت) .
8. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، د. وهبة الزحيلي، ط1، دار الفكر، دمشق–سوريا، دار الفكر المعاصر، بيروت–لبنان، 1418هـ–1998م.
9. تنوير الأذهان من تفسير الشيخ إسماعيل حقي البروسوي روح البيان ، اختصار وتحقيق: الشيخ محمد علي الصابوني ، بغداد 1990م.
10. الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، القاهرة 1996م.
11. دلالات اللون في الفن العربي الإسلامي ، تأليف د. عياض عبد الرحمن الدوري ط1 بغداد ، 2003م.
12. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني أبو الثناء شهاب الدين محمود الآلوسي البغدادي، نشر وتصحيح ، محمود شكري الالوسي ، بيروت (د.ت) .
13. زاد المسير في علم التفسير ، عبد الرحمن بن علي بن الجوزي البغدادي ، دمشق 1964م.
14. سيكولوجية إدراك اللون والشكل ، قاسم حسين صالح ، دار الرشيد للنشر ، بغداد 1982م.
15. سورة الرحمن وسور قصار ، د. شوقي ضيف ، دار المعارف القاهرة (د.ت) .

16.سورة الواقعة ومنهجها في العقائد ، الشيخ محمود محمد غريب ، ط1، القاهرة 1966م.
17.صفوة التفاسير ، محمد علي الصابوني ، بيروت – 1986م.
18.الظاهرة الجمالية في القرآن الكريم ، نذير حمدان ، دار المنارة للنشر والتوزيع جدة – السعودية ، ط1 1412هـ / 1991م.
19.في ظلال القرآن ، سيد قطب ، ط6 ، بيروت / 1978 م.
20.القاموس المحيط، نجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، دار الجيل، (د.م)، (د.ت).
21.معجم مقاييس اللغة ، احمد بن فارس ، تحقيق وضبط : عبد السلام محمد هارون ، بيروت / 1979م.
22.نظرية اللون ، د. يحيى حمودة ، دار المعارف ، مصر 1979م.

الدوريات :

1. التعبير عن اللون في الشعر العربي القديم ، د. وولف ديتريش فيشر ، مجلة التربية والعلم، العدد (8) أيلول 1989م / صفر 1410هـ.
2. الصورة اللونية في شعر السياب، د. شاكر هادي التميمي، مجلة القادسية في العلوم التربوية، المجلد (2)، العدد (2) ربيع الثاني–جمادى الاولى 1423هـ– حزيران–تموز 2002م.